سلسلة قصص الأخلاق

١٥

قصص في الصبر

إعداد/ عبد العزيز السيد هاشم

إخراج / علي بدوي

جميع الحقوق محفوظة

صَبْرٌ وَجَنَّةٌ

خَرَجَ حَارِثَةُ بنُ سُرَاقَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – مَعَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فَقُتِلَ شَهِيدًا.

وَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ ، صَبَرْتُ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ . قَالَ: « يَا أُمَّ حَارِثَةَ ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى »

فَقَالَتْ أُمُّ حَارِثَةَ: بَخٍ بَخٍ يَا حَارِثَةُ.

(بَخٍ: كَلِمَةٌ تُقَالُ عِنْدَ الرِّضَا وَالإِعْجَابِ).

وَرَجَعَتْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَهِيَ صَابِرَةٌ مُحْتَسِبَةٌ رَاضِيَةٌ بِدُخُولِ ابْنِهَا حَارِثَةَ الْجَنَّةَ.

صَبْرُ الفُقَرَاءِ

هَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ بِأَنْفُسِهِمْ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَتَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، فَكَانُوا يَنَامُونَ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَتَحَمَّلُونَ الْجُوعَ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي طَاعَةِ اللهِ. وَقَدْ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْ هَؤُلاءِ الفُقَرَاءِ.

وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ، دَخَلَ الرَّسُولُ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَ هَؤُلاءِ الصَّحَابَةَ الفُقَرَاءَ جَالِسِينَ وَأَحَدُهُمْ يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ الرَّسُولُ سَكَتَ القَارِئُ، فَسَأَلَهُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟". فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَانَ قَارِئٌ لَنَا يَقْرَأُ عَلَيْنَا، فَكُنَّا نَسْتَمِعُ إِلَى كِتَابِ اللهِ.

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ أُمِرْتُ أَن أَصَبِّرَ نَفْسِي مَعَهُمْ". ثُمَّ جَلَسَ بَيْنَهُمْ، وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ لِيَلْتَفُّوا حَوْلَهُ وقَالَ: "ابْشِرُوا يَا مَعْشَرَ صَعَالِيكِ (فُقَرَاءِ) الْمُهَاجِرِينَ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ، تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَاءِ النَّاسِ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَذَاكَ خُمْسَمَائَةِ سَنَةٍ".

لَا تَسْتَعْجِلُوا

فِي بِدَايَةِ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ.. لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ كَثِيرًا مِنَ الأَذَى مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ، وَجَاءَ خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – وَمَعَهُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَشْكُونَ مَا يَتَعَرَّضُونَ لَهُ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَدْعُو لَهُمْ بِالنَّصْرِ، وَقَالُوا: أَلَا تَسْتَنْصِرْ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟

فَأَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ دَرْسًا فِي الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ وَتَحَمُّلِ الْمَشَاقِ فِي سَبِيلِ تَبْلِيغِ دَعْوَةِ اللهِ تَعَالَى وَنُصْرَةِ دِينِهِ وَشَرَائِعِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ».

ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِنَتِيجَةِ صَبْرِهِمْ وَتَحَمُّلِهِمْ: «وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ». فتحمَّل الصحابة الأذى وصبروا حتى جاء نصر اللهِ.

الأُمُّ الصَّابِرَةُ

قَبْلَ أنْ تَبْدَأَ مَعْرَكَةُ القَادِسِيَّةِ دَعَتِ الْخَنْسَاءُ بِنْتُ عَمْرٍو أَوْلاَدَهَا الأَرْبَعَةَ، وَقَالَتْ لَهُمْ: يَا بَنِيَّ! إِنَّكُمْ أَسْلَمْتُمْ طَائِعِينَ، وَهَاجَرْتُمْ مُخْتَارِينَ، وَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِنَّكُمْ لَبَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ كَمَا إِنَّكُمْ بَنُو امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، مَا خُنْتُ أَبَاكُمْ وَلاَ فَضَحْتُ خَالَكُمْ، وَلاَ هَجَّنْتُ حَسَبَكُمْ، وَلاَ غَيَّرْتُ نَسَبَكُمْ.

وَقَدْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الدَّارَ البَاقِيَةَ خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران]

سَمِعَ الأَوْلاَدُ نَصِيحَةَ أُمِّهِمْ، وَدَخَلُوا الْمَعْرَكَةَ وَكُلُّهُمْ يَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَاتَلُوا قِتَالاً شَدِيدًا بِشَجَاعَةٍ وَحَمَاسٍ حَتَّى اسْتُشْهِدُوا جَمِيعًا.

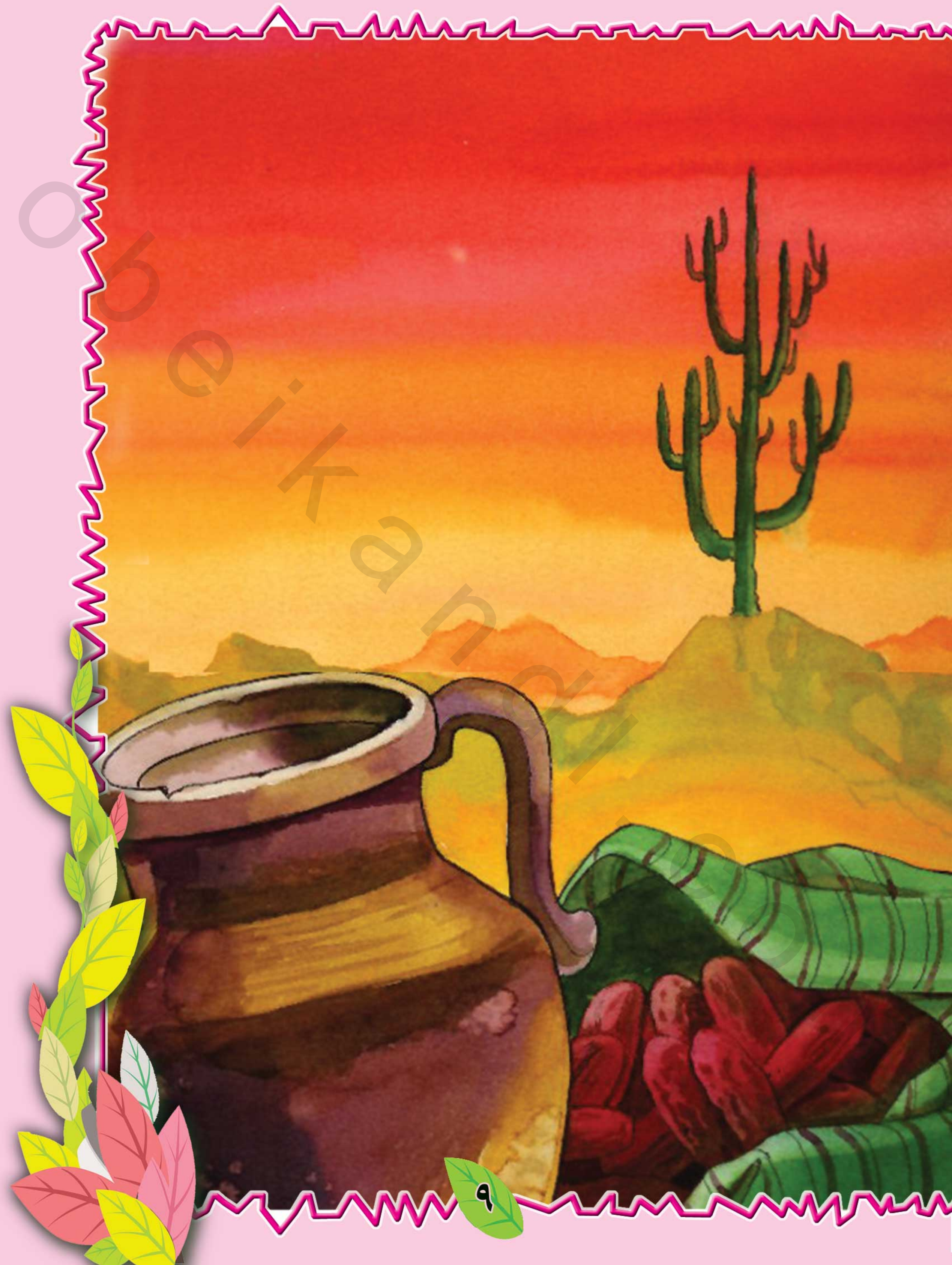

صَبْرُ أَيُّوبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَانَ نَبِيُّ اللهِ أَيُّوبُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – غَنِيًّا وَعِنْدَهُ أَوْلَادٌ كَثِيرُونَ، وَكَانَ قَوِيَّ البَدَنِ سَلِيمُ الصِّحَّةِ. فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُ وَيَخْتَبِرَهُ؛ فَفَقَدَ أَمْوَالَهُ، وَهَجَرَهُ أَهْلُهُ وَمَاتَ أَوْلَادُهُ، وَأُصِيبَ فِي جَسَدِهِ بِأَمْرَاضٍ شَدِيدَةٍ، وَابْتَعَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِخْوَانُهُ.

فَقَابَلَ أَيُّوبُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – كُلَّ هَذِهِ الابْتِلَاءَاتِ وَالْمَصَائِبِ بِالصَّبْرِ وَالاحْتِسَابِ وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ للهِ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: الْحَمْدُ للهِ.. الْحَمْدُ للهِ. وَلَمْ يَيْأَسْ أَيُّوبُ أَوْ يَتَضَايَقَ مِنْ طُولِ مَرَضِهِ وَبِلَائِهِ، بَلْ كَانَ يَتَوَجَّهُ إِلَى رَبِّهِ قَائِلًا:

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾

وَبَعْدَ طُولِ صَبْرٍ كَشَفَ اللهُ بَلَاءَهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يَضْرِبَ الأَرْضَ بِرِجْلِهِ، فَنَبَعَ مَاءٌ بَارِدٌ عِنْدَ قَدَمَيْهِ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَاغْتَسَلَ فَذَهَبَ مَرَضُهُ، وَعَادَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَبَارَكَ اللهُ لَهُ فِيهِمَا.

وَأَثْنَى اللهُ عَلَى أَيُّوبَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – لِصَبْرِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾. وهكذا نتعلم من أيوب –عَلَيْهِ السَّلَامُ– الصبر فهو خير مثل وقدوة للصابرين.

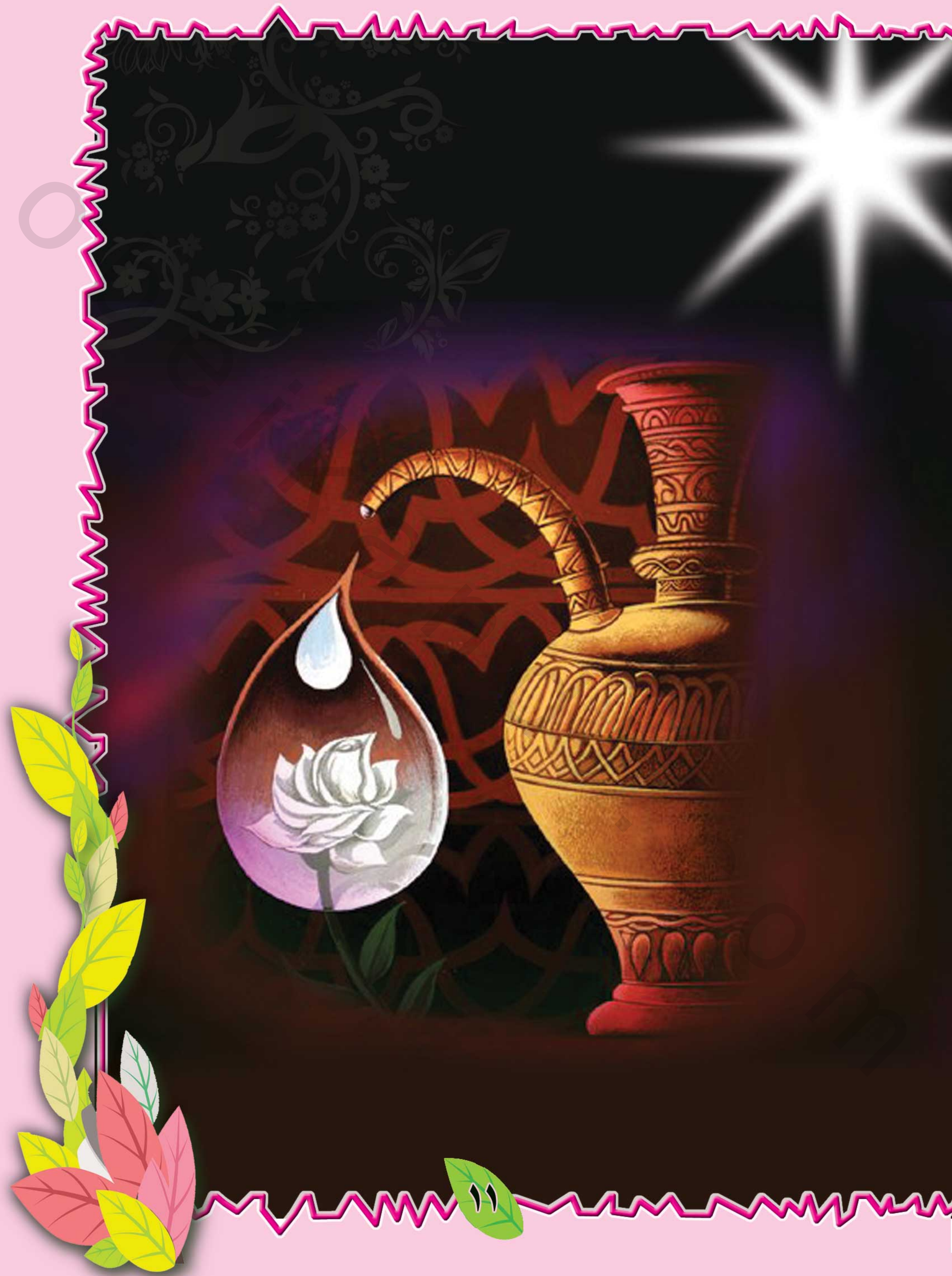

أَصْبِرُ وَأَحْتَسِبُ

مَرِضَ زَيْدُ بنُ أَرْقَمَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – فَجَاءَهُ الرَّسُولُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَزُورُهُ، وَقَالَ لَهُ:

"لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ مَرَضِكَ هَذَا بَأْسٌ، وَلَكِنْ كَيْفَ بِكَ إِذَا عَمَّرْتَ بَعْدِي فَعَمِيتَ؟!".

فَقَالَ زَيْدٌ: إِذَنْ أَصْبِرُ وَأَحْتَسِبُ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:

"إِذًا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ".

وَبَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أُصِيبَ بِالعَمَى؛ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، ثُمَّ شَفَاهُ اللهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ بَصَرَهُ.

وَهَكَذَا يَكُونُ جَزَاءُ كُلِّ مَنْ يَتَّقِي اللهَ تَعَالَى وَيَصْبِرُ عَلَى قَضَائِهِ أَنْ يَرْحَمُهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾

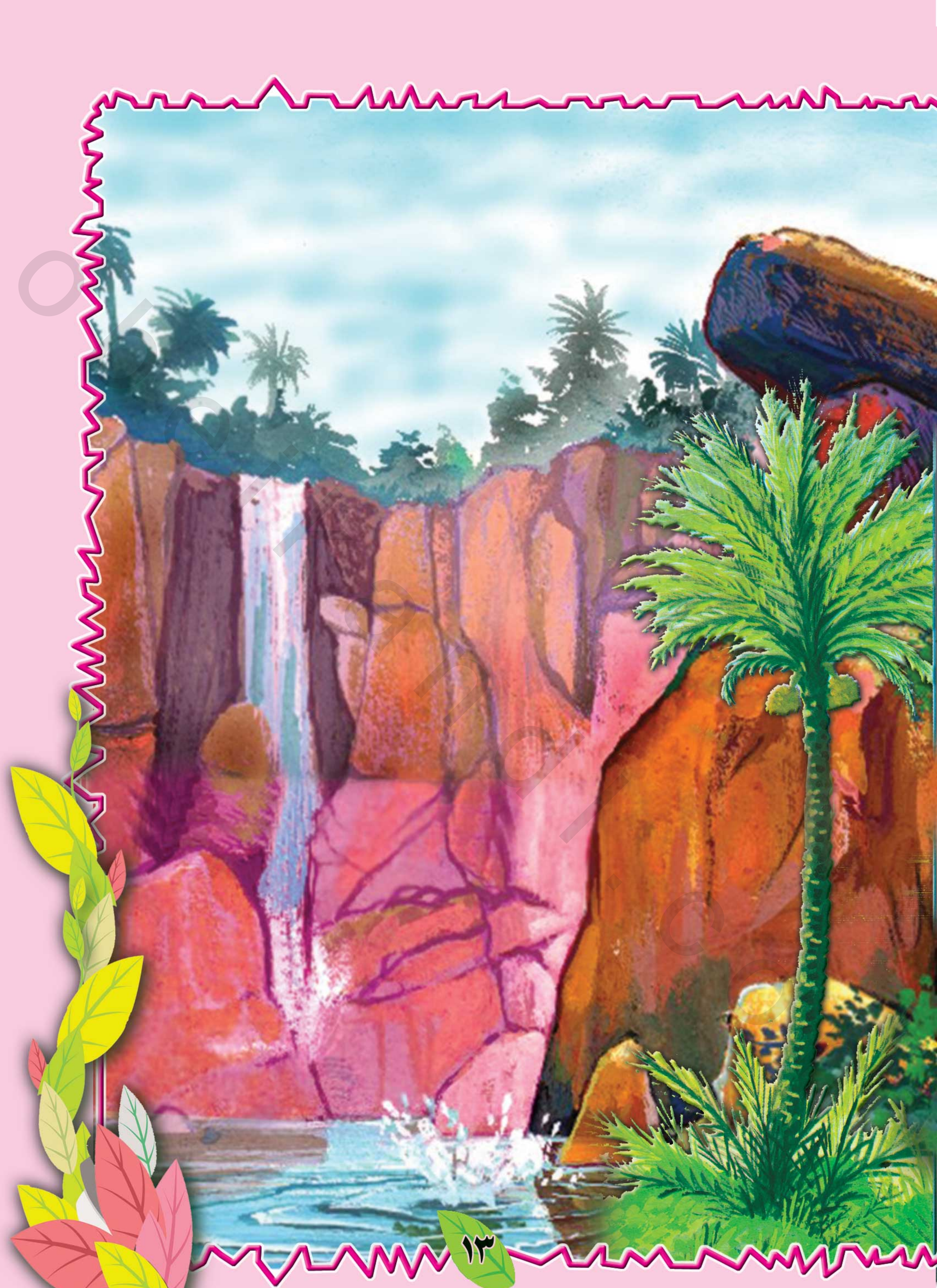

الصَّدْمَةُ الأُولَى

كَانَ لامْرَأَةٍ وَلَدٌ، فَتَوَفَّاهُ الله. وَذَاتَ يَوْمٍ ذَهَبَتِ الْمَرْأَةُ عِنْدَ قَبْرِ ابْنِهَا، وَأَخَذَتْ تَبْكِي بُكَاءً شَدِيدًا.

وَبَيْنَمَا هِيَ تَبْكِي وَتَنُوحُ مَرَّ عَلَيْهَا النَّبِيُّ - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ لَهَا: "اتَّقِي الله وَاصْبِرِي".

وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ لاَ تَعْرِفُ النَّبِيَّ فَلَمْ تَسْتَجِبْ لِكَلاَمِهِ، وَقَالَتْ لَهُ: إِلَيْكَ عَنِّي (ابْتَعِدْ)، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي.

فَتَرَكَهَا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَضَى، فَقَالَ لَهَا رَجُلٌ: أَمَا تَعْرِفِينَهُ ؟! إِنَّهُ رَسُولُ الله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

فَشَعَرَتِ الْمَرْأَةُ بِخَجَلٍ شَدِيدٍ وَحَيَاءٍ وَمَهَابَةٍ مِنْ رَسُولِ الله، فَذَهَبَتْ لِتَعْتَذِرَ إِلَيْهِ. وَلَمَّا اقْتَرَبَتْ مِنْ بَيْتِهِ لَمْ تَجِدْ عَلَى بَابِهِ بَوَّابِينَ وَلاَ حُرَّاسًا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، لَمْ أَعْرِفْكَ.

فَبَيَّنَ لَهَا النَّبِيُّ - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ الصَّبْرَ الكَامِلَ الَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الأَجْرُ هُوَ صَبْرُ الْمَرْءِ عِنْدَ وُقُوعِ الْمُصِيبَةِ، وَقَالَ لَهَا: "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةُ الأُولَى".

إن مع الصابرين

قَبلَ الحِسَابِ

يُرْوَى أَنَّهُ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ، حِينَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ كُلَّهُمْ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، يُنَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ الصَّابِرُونَ لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ قَبْلَ الْحِسَابِ؟ فَيَقُومُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَتُقَابِلُهُمْ الْمَلَائِكَةُ، فَتَقُولُ لَهُمْ: إِلَى أَيْنَ يَا بَنِي آدَمَ؟ فَيَقُولُونَ: إِلَى الْجَنَّةِ. فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: قَبْلَ الْحِسَابِ؟! فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.

فَتَسْأَلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ: وَمَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ الصَّابِرُونَ.

فَتَسْأَلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ: وَمَا كَانَ صَبْرُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: صَبَرْنَا عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَصَبَرْنَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، حَتَّى تَوَفَّانَا اللهُ.

فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: أَنْتُمْ كَمَا قُلْتُمْ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. وَيَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾